Arabian Gulf Journal of Humanities and Social Studies

ISSN: 3080-4086

الإصدار الخامس - العدد الخامس عشر || تاريخ الإصدار 2026-06-20

شخصيّة أبي نواس في حكايات ألف ليلة وليلة

The Character of Abu Nuwas in the Tales of One Thousand and One Nights (The Arabian Nights)

د.محمّد عدنان جبارين

Dr. Muhammad Adnan Jabareen

باحث، كاتب، ناقد، ومفكّر مهتم بقضايا اللّغة العربيّة وتطوير أساليب تدريسها.

نال درجة الدّكتوراة في "مناهج اللّغة العربيّة وأساليب تدريسها" من جامعة اليرموك في المملكة الأردنية الهاشميّة

DOI: https://doi.org/10.64355/agjhss51531

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية || هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي(CC BY-NC-SA)

الملخص:
تهدف هذه الدّراسة إلى بيان الصّورة الّتي ظهرت فيها شخصيّة أبي نواس وفق ما وردت في حكايات **"ألف ليلة وليلة"**، وإجراء مقارنة علميّة توضّح مدى انعكاسها وتطابقها مع شخصيّته في أخباره الّتي جمعها أبو هفّان المهزميّ. وتنبع مشكلة الدّراسة من الحضور الأسطوريّ والمحدود لشخصيّة أبي نواس في الحكايات، وارتباطه الوثيق بمجالس الخليفة هارون الرّشيد ومغامراته، ممّا يستدعي البحث في كنه هذا الحضور وسبر أغواره.
ولتحقيق أهداف البحث، اعتمدت الدّراسة المنهج الوصفيّ التّحليليّ لتتبّع حكايات أبي نواس في اللّيالي ورصدها، ومن ثَمّ مقارنتها بما ورد في كتاب المهزميّ.

وخلصت الدّراسة إلى مجموعة من النّتائج؛ أبرزها: أنّ شخصيّة أبي نواس تعدّ شخصيّة واقعيّة وُظّفت في عدد محدود من الحكايات لتجسّد فلسفته في الحياة، وتعكس رغباته في مجالس الطّرب وميوله الشّديدة نحو الفحش والمجون وتفضيل الغلمان. كما أظهرت المقارنة تطابقًا جليًّا بين ذكائه وبداهته وحيله للوصول إلى أهدافه اللّاهية؛ إذ ظهر متخفّيًا في اللّيالي في صورة درويش أو تاجر، وهو ما يتقاطع مع أخباره الحقيقيّة الّتي تقمّص فيها شخصيّة الحمّال للغايات ذاتها. وأخيرًا، أثبتت الدّراسة أنّ شهرة أبي نواس الواسعة في معاقرة الخمرة والتّلذّذ بمجالس اللّهو، أدّت إلى إقحام حكايات مصنوعة عنه في بعض نسخ اللّيالي المتأخّرة، تحاكي النّسخة الأصليّة لتضيف مزيدًا من مشاهد انحرافه وشذوذه.

الكلمات المفتاحية: أبو نواس، ألف ليلة وليلة، أخبار أبي نواس، أبو هفّان المهزميّ، هارون الرّشيد، الشّعر الماجن، المنهج الوصفيّ التّحليليّ.

Abstract:

This study aims to elucidate the portrayal of Abu Nuwas's character as presented in the tales of "One Thousand and One Nights" and to conduct a comparative analysis demonstrating the extent to which it aligns with his historical persona in the anecdotes compiled by Abu Haffan al-Mihzami. The research problem arises from the mythical yet limited presence of Abu Nuwas in the Nights, alongside his close association with the gatherings and adventures of Caliph Harun al-Rashid, which necessitates an in-depth investigation into the hidden motives behind this presence. To achieve its objectives, the study employs a descriptive-analytical approach to trace and monitor Abu Nuwas's tales within the Nights, subsequently comparing them with al-Mihzami's compilation.

The research concludes with several key findings, most notably: Abu Nuwas is a realistic character employed in a limited number of tales to embody his life philosophy, reflecting his desires for musical gatherings, extreme debauchery, and his preference for young men. The comparative analysis reveals a clear correspondence in his traits of quick wit, intelligence, and cunning strategies to achieve his hedonistic goals; he appeared disguised in the Nights as a dervish or a merchant, which intersects directly with historical accounts of him adopting the persona of a porter for similar purposes. Furthermore, the study proves that the poet's widespread fame for wine consumption and reveling in gatherings of amusement led to the insertion of fabricated tales about him in certain later editions of the Nights, imitating the original versions to depict further deviance and libertinism.

Keywords: Abu Nuwas, One Thousand and One Nights, Akhbar Abu Nuwas, Abu Haffan al-Mihzami, Harun al-Rashid, Libertine poetry, Descriptive-analytical approach.

مدخل

اشتملت ليالي الألفيّة على شخصيّات **واقعيّة**، كشخصيّة الخليفة هارون الرّشيد[1]، ووزيره جعفر[2]، وعبد الملك بن مروان[3]، وأمير المؤمنين المنتصر بالله[4]، والمأمون[5]، وإسحاق الموصلي[6]، وأبي إسحاق النّديم[7]، والأصمعيّ[8]، والحجّاج بن يوسف الثّقفيّ[9]، والحسن بدر الدّين البصريّ[10]، والسّلطان محمّد بن سليمان الزّيني[11] ووزيريه الفضل بن خاقان[12] والمعين بن ساوى[13]، ومعن بن زائدة[14]، وجميل بن معمّر[15]، وحسين الخليع[16]، والشّابّ العمانيّ[17]، وأخرى **أسطوريّة** كشخصيّة السّندباد[18]، والمارد[19]، والجنّي والجنّيّة[20]، والعفريت

---

(1) ينظر على سبيل التّمثيل: **ألف ليلة وليلة**، مكتبة محمّد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر– مصر، د.ت: 35/1، 42، 60، 61، 62، 84، 98، 136، 139، 140، 141، 146، 159/2، 172، 175، 181، 191، 192، 193، 200، 202، 206، 289، 7/3، 8، 116، 203، 204، 206، 210، 211، 126/4، 127، 128، 208، 218، 228، 266، 283.

(2) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 158/2، 159، 161، 162، 162، 163، 172، 191، 192، 202، 203، 208/4، 218، 267.

(3) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 122/3، 138، 202.

(4) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 109/1، 110.

(5) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 185/2، 188، 243.

(6) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 185/2، 187،186، 294، 296، 297.

(7) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 208/4، 267، 268، 269.

(8) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 204/3، 205، 206، 210.

(9) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 136/2، 137، 201/3، 203.

(10) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 72/1، 73، 78، 79، 82، 83، 303/3، 307، 308، 309، 311، 318، 10/4، 19، 20، 22، 25.

(11) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 125/1، 127، 143، 145، 212/3.

(12) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 125/1، 127.

(13) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 144/1، 145.

(14) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 182/2.

(15) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 206/3، 207، 209.

(16) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 210/3، 211.

(17) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 208/4، 211، 213، 215، 217.

(18) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 81/3، 82، 83، 85، 88، 89، 92، 94، 96، 98، 99، 100، 104، 106، 109، 112، 116، 173.

(19) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 212/2، 213، 214، 215، 216 .

(20) ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 4/1، 8، 13، 60، 70، 69/2، 70، 71، 59/3، 122، 123، 128، 147، 287، 300.

والعفريتة[21]، والشّيخ أبي الرّيش[22]، وعلاء الدّين أبي الشّامات[23]، وزوجته زبيدة[24]، والعجوز الشّواهي ذات الدّواهي[25]، وشاه زمان وقمر الزّمان[26]، والملك يونان[27]، والحكيم دوبان[28]، والملك سليمان شاه[29] وابنه خاران بن الملك سليمان (تاج الملوك)[30]، والملك زهر شاه[31]، الملك شهرمان[32] وجاريته جلّنار البحر[33] وابنه الملك قمر الزّمان[34]، وقمر الزّمان ابن التّاجر عبد الرّحمن[35]، وغير ذلك ممّا لا يمكن إحصاؤه في هذه السّطور.

وشخصيّة أبي نواس من الشّخصيّات الواقعيّة في حكايات ألف وليلة، إذ نجد حضوره في عدد محدود منها لتجسّد فلسفته في الحياة وتعكس رغباته في مجالس الطّرب وميوله إلى الفحش في النّظم، وتعكس علو كعبه في الفحش والمجون -لا سيّما- في تفضيل الذّكور على النّساء، فغدا رمز الشّعر الماجنّ الفاحش، ولكثرة تغزّله بالخمرة، وُسم بشاعر الخمرة ولا غرابة في ذلك؛ فقد ترعرع في العصر العباسيّ، عصر الانفتاح والخروج على تقاليد الشّعر العربيّ في أشكاله ومضامينه، عصر الشّعوبيّة المتأثّر بالحضارات الأمم في ثقافتها وعاداتها وطبائعها، ما انعكس على شعره؛ فكان تغزّله بالمرأة والغلمان ممّا ذاع بين نفر من شعراء عصره الّذين اعتكفوا في حانات الخمر وبيوت اللّهو والعبث، فإنْ تركوها فإلى دورهم الّتي حوّلوها إلى مقاصف للخمر والغناء يتطارحون فيها أشعارهم المعبّرة عن غرائزهم وكلّ ما يقترن بها من شذوذ الغزل بالغلمان.
وبذلك فقد ساير شعراء عصره في مجالسة النّدماء والتّماهي مع الخمرة ومستلزماتها من طرب ومجون، مفجّرًا تمرّدًا على الدّين والأعراف والتّقاليد، فقد "تقف كلّ الثّقافات الّتي عاصرها من عربيّة وإسلاميّة ومن هنديّة وفارسيّة ويونانيّة ومن مجوسيّة ويهوديّة ونصرانيّة، **وغرق في حضارة عصره الماديّة وفي آثامها وخطاياها، تدفعه إلى ذلك أزمته النّفسيّة العنيفة إزاء سيرة أمّه المنحرفة، وكأنّما اتّخذ من المجون والفسق أداة بل ملجأ، للهروب من أزمته ومن هموم الحياة وأحزانها، وتردّى في أسوأ صور المجون ونقصد غزله الشّاذّ بالغلمان**، ونراه أحيانًا يعلن تمرّدًا وإلحادًا في الدّين، ولكنّه إلحاد عابر، لا إلحاد عقيدة كإلحاد بشّار، فقد كان بشّار زنديقًا، وكان يظهر زندقته حين لا يخشى على نفسه، ويبطنها حين يأخذه الخوف، أمّا أبو نواس فلم يكن يعتنق الزّندقة، إنّما كان يعتنق المجون، ويتعبّد لملاذ الحضارة الّتي عاشها، فصاح بالدّين الحنيف كأنّه يرى فيه عائقًا عن خمره ومجونه وإثمه"[36]، فما كان حضوره في بعض حكايات اللّيالي إلّا لشهرته في التّلذذ بمجالس اللّهو وتماهيه في ماديّات العصر ونزوعه إلى الخمرة الّتي غدت توءَم روحه.

---

[21] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 4/1، 14، 15، 16، 21، 23، 26، 45، 46، 47، 48، 49، 60، 61، 72، 73، 75، 69/2، 71، 72، 73، 269/3 .

[22] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 20/4، 21، 22، 23.

[23] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 147/2، 151، 152، 153، 155، 157، 159، 161، 166، 170، 174، 181.

[24] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 159/2، 162، 163.

[25] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 237/1، 238، 241، 245، 249، 250، 251، 252، 259، 260، 42/4، 43، 47.

[26] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 203/1، 204، 205، 206، 210، 213، 215.

[27] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 16/1، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 25.

[28] ينظر على سبيل التّمثيل: 20/1، 21، 22، 23.

[29] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 261/1، 262، 264، 265، 305، 306، 307.

[30] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 266/1، 267، 268، 270، 271، 273، 275، 276، 277، 298، 304، 308.

[31] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 264/1.

[32] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 305/1، 306، 307، 65/2، 66، 67، 68، 80، 92، 104، 247/3، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 254.

[33] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 249/3، 250، 251، 252، 253، 254.

[34] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 2/ 65، 66، 68، 69، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 84، 85، 91، 92، 93، 95، 96، 98، 99، 105، 106، 112، 147.

[35] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق**: 237/4، 240، 244، 248، 249، 251، 255، 258.

[36] ضيف، شوقي: **العصر العبّاسي الأوّل**، دار المعارف، القاهرة، ط8، د.ت: ص226.

ويعدّ كتاب "أخبار أبي نواس" أوّل مصنّف وصف مجون أبي نواس ونوادره وأخباره، فقد تحدّث عن رحلاته في البحث عن الخمرة كلّما تاقت نفسه لها ولم يجد مالًا يشتريها[37]، وعن غزله الدّقيق بالحسناوات اللّاتي يتعشّقهن أو يصادفهنّ[38]، وظرافته في نظم الشّعر[39]، وعذوبة غزله بالخمرة[40]، وغزله الفاحش بالغلمان[41]، وطلب الخلفاء له وبحثهم عنه في الحانات ليكون نديمًا يشاركهم مجالسهم وشرابهم[42]، وغير ذلك من قصص وأشعار تعبّر عن شخصيّة ماجنة عاشقة للخمرة باحثة عنها في الحانات ودور بيعها ومجالس تداولها، ولذلك فإنّ **الحكايات النّواسيّة في اللّيالي قد تلتقي مع ما ورد في أخباره، فكيف ظهرت شخصيّة أبي نواس في ليالي الألفيّة وفي أخباره الّتي جمعها أبو هفّان المهزميّ؟**

مشكلة الدّراسة

كانت شخصيّة أبي نواس تلك الشّخصيّة المحبوبة الظّريفة الطّريفة خفيفة الظّل، الّتي لامست بذلك نفوس المطّلعين على أخبارها؛ فما تزال شخصيّة كذلك برغم فحش فعلها وقولها، كما أطّرت لها مظان ترجمة الشّاعر المخمور –لاسيّما- الحديثة منها، وكما وسمته مصادر ترجمته وحكى عن حاله في أشعاره، وبدت شخصيّة أسطوريّة، دخلت أبواب بعض حكايات اللّيالي، وانثرت في قصص محدودة منها؛ لترتبط بشخصيّة الخليفة العبّاسي هارون الرّشيد، الّذي تصدّر حكايات اللّيالي، وبرغم قلّة تلك الحكايات الّتي ظهرت فيها شخصيّة أبي نواس، غير أنّها كما وصفتها بعض المظانّ خاصّة الحديثة معقّبة على حضورها في حكايات اللّيالي "وكأنّها أسطورة عصرها"، وما ظهورها في اللّيالي إلّا لغايات، لا يعرف الباحث كنهها وسرّ حضورها، وهي مشكلة تلمّح بحقائق ينبغي تجليتها وسبر أغوارها والبحث في خفاياها، ومن هنا جاءت فكرة هذه الدّراسة.

أسئلة الدّراسة

إنّ حضور أبي نواس في عدد محدود من حكايات اللّيالي، ربّما يجسّد شيئًا من فلسفته في الحياة، ويعكس بعض رغباته، ومن هنا انطلق السّؤال الرّئيس، وهو: كيف ظهرت شخصيّة أبي نواس في الحكايات وما مدى تطابقها مع كتاب أخباره الّذي صنّفه أبي هفّان المهزميّ، وهو سؤال انبثق عنه مجموعة من الأسئلة الفرعيّة، وهي: ما أثر البيئة في تكوين شخصيّة أبي نواس؟ وكيف أثّرت في سلوكه ونظمه الشّعر؟ ولماذا دخلت حكايات الألفيّة؟

أهداف الدّراسة

بيان الصّورة الّتي ظهرت فيها شخصيّة أبي نواس وفق ما وردت في حكايات اللّيالي، وإجراء مقارنة توضّح إلى أيّ درجة تنعكس وتتطابق مع شخصيّته في أخباره الّتي جمعها أبو هفّان المهزميّ؛ بوصفه من أشهر ما صنّف في وصف مجون أبي نواس ونوادره وأخباره.

أهمّيّة الدّراسة

تذكر الرّوايات الّتي أطّرت لشخصيّة أبي نواس أنّها ارتبطت - كما شاع في الحكايات وفي خيال العالم العربيّ- ارتباطًا وثيقًا بمغامرات الخليفة هارون الّذى مثّل بدوره أبهة الخلافة، وعلى هذا دخل في ألف ليلة وليلة ولا يزال إلى اليوم الشّخصيّة المحبّبة في القصص الشّعبي، حيث يقوم في الأكثر مقام مضحك البلاط، **ولأنّ** كتاب "أخبار أبي نواس" من أوائل الدّراسات المصنّفة في نوادر أبي نواس وأخباره وأشهرها، فإنّ الدّراسة تسعى إلى بيان مدى تطابق صورة شخصيّة أبي نواس كما أطّرت لها حكايات اللّيالي مع شخصيّته الّتي أطّر لها أبي هفّان المهزميّ؛ لتجلية حقيقة تلك الشّخصيّة بوصفها شخصيّة أسطوريّة دخلت حكايات اللّيالي وفاقت في ذلك شعراء عصرها، وبالنّظر في **المدوّنتين نجد أنّ شخصيّة أبي نوّاس انعكست من جانبين: الأوّل: رفقة ندماء اللّهو، والثّاني: معاشرة الغلمان والتّغزّل بهم**.

---

[37] ينظر على سبيل التّمثيل: المِهْزَميّ، أبو هفّان عبد الله بن أحمد بن حرب: **أخبار أبي نواس**، تحقيق: عبد السّتّار أحمد فرّاج، مكتبة مصر، د.ت: ص19.

[38] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق:** ص21–22، 28–29، 40–43.

[39] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق:** ص22–32.

[40] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق:** ص24–25، 92.

[41] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق:** ص48–49، 106.

[42] ينظر على سبيل التّمثيل: **السّابق:** ص23–24، 52.

منهج الدّراسة

تبحث الدّراسة في صورة أبي نواس كما ظهرت في حكايات الألفيّة وانعكاسها في حكايات الألفيّة ومدى مطابقتها لأخباره لدى أبي هفّان المهزميّ، ولذلك، قامت بتتبّع حكايات أبي نواس في حكايات الألفيّة ورَصَدَتها، وبمقارنتها مع أخباره في كتاب أبي هفّان المهزميّ، لبيان مدى انعكاس حكايات الألفيّة مع أخباره وتطابقها، وبذلك فإنّ الدّراسة اعتمدت المنهج الوصفيّ التّحليليّ.

الدّراسات السّابقة

تركّزت معظم الدّراسات الّتي تحدّثت عن أبي نواس في الحديث عن معاقرته الخمرة، وميله إلى التّغزّل بالغلمان، وغزله الفاحش بالنّساء والرّجال على حدّ سواء، مُحاولة تحليل أثر ذلك في شعره، ومن هذه الدّراسات:

- **العصر العبّاسي الأوّل**: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط8، د.ت.
- **نفسيّة أبي نواس**: محمّد النّويهي، مكتبة الخانجي ودار الفكر، القاهرة، ط2، 1970.
- **أبو نواس الحسن بن هانئ**: عبّاس محمود العقّاد، المكتبة العصريّة، بيروت-صيدا، د.ت.

تتقاطع هذه الدّراسات مع بعض محاور الدّراسة وتفارقها في أخرى، فبعضها تحدّثت عن أبي نواس شاعر العصر العبّاسي وتأثير ظروف العصر وحضارته في شعره، وأخرى ناقشت نفسيّته وتكوينها وتأثير ذلك في شعره ومجونه.

لكّنها لم تفصح عن شخصيّة أبي نواس الّتي سطع بريقها في الأوساط الأدبيّة، حتّى فاق الإبداع في تكوينه النّفسيّ ومسيرته الشّعريّة ومغامراته الظّريفة، فدخلت حكايات اللّيالي ذات النّمط العجيب الغريب في صوغها وغرائب رواياتها، ولم تكشف عن مدى دقّة تلك الحكايات ومدى مطابقتها لنوادره وأخباره الّتي جمعها أبو هفّان المهزميّ.

المبحث الأوّل: نديم الخليفة ورفيقه في مجالسه

كانت شخصيّة أبي نواس ذكيّة مرهفة الإحساس، ولكثرة تردّده على مجالس اللّهو وغزله الماجن وغنائه بالخمرة وفحشه في التّصوير، فقد وُضعت فيه حكايات تعكس انحرافه وفجوره، ذلك أنّ "في خمريّاته فحش كثير، وكأنّما وجُد ليحمل ذنوب عصره وجميع خطاياه، على أنّه ينبغي أن نلاحظ أنّه وضع عليه كثير من الشّعر في هذا الباب؛ **إذ تحوّل إلى ما يشبه شخصيّة أسطوريّة، فإذا هو يدخل في قصص ألف ليلة وليلة**، وإذا هو توضع في فحشه ونوادره كتب مستقلّة؛ بدأها أبو هفّان في كتابه "أخبار أبي نواس" ومضت تتّسع من بعده، وليس ذلك فحسب، فإنّ كثيرًا من أشعار المُجّان الّذين عاصروه أُضيفت إليه"[43].

وقد "اشتهر الحسن بن هانئ باسم أبي نواس؛ لغدائره الّتي كانت تنوس على كتفيهِ، وكان مولده في بلاد الفرس ثمّ رحل إلى بغداد، ونال الحظوة عند الخليفة الرّشيد، ولعلّه اشترك معه في واحدة أو اثنتين من المغامرات الّتي تعزى إليهما في كتاب ألف ليلة وليلة"[44].

دخل أبو نواس حكايات اللّيالي في نسختها الأصليّة، ووُضعت فيه حكايات تحاكيها في بعض النّسخ على حساب النّسخة الأصليّة، والواقع أنّه ظهر مع الرّشيد في خمس من حكايات اللّيالي رصدتها الدّراسة، واحدة بوصفه شاعر الفحش الّذي يحتجّ بشعره في تفضيل مضاجعة الغلمان، وأربع بوصفه **رفيق الخليفة في رحلاته، ونديمه في مجالسه، والشّاعر الحاذق الّذي يستطيع كبح غضب الخليفة هارون الرّشيد وإبداله ضحكًا**، "ويجب ألّا ننسى أنّ اسم الرّشيد كان قد أصبح منذ وقت قديم رمزًا للعصر الذّهبي الغابر، تُفعل فيه الأعاجيب وتحاك حوله الأساطير، **وعلى هذا فمن الخطأ أن نكتفي بورود اسمه في حكاية من الحكايات فننسبها إلى هذه الطّبقة**، وفي مثل هذه الحالة يجب أن يكون اعتمادنا على المقاييس الدّاخليّة، وإذا صرفنا النّظر بطبيعة الحال عن كثير من التّفصيلات الّتي لابدّ أن تظلّ موضع الشّك، فإنّا نستطيع أن نقول بصفة عامّة: إنّ الأقاصيص الهيّنة الجيّدة السّبك الّتي تمثّل حياة الطّبقة الوسطى وتقوم على مشكلة من مشكلات الحبّ ويكون حلّها على يد الخليفة هي من الطّبقة البغداديّة، أمّا حكايات الصّعاليك وحكايات الجنّ -وهذه في الغالب ضعيفة الأسلوب- فهي من طبقة مصريّة متأخّرة"[45].

ولذلك، اقترنت شخصيّة أبي نواس –بحسب الرّوايات الّتي أطّرت لشخصيّته في الحكايات وفي خيال العالم العربيّ - بشخصيّة هارون الرّشيد ومغامراته الّذي مثّل بدوره أبهة الخلافة، فكان شاعره ونديمه في حلّه وترحاله والمطّلع على خفايا بيته، فمثّلت الشّخصيّة الحاذقة سريعة الجواب

---

[43] ينظر: ضيف: **العصر العبّاسي الأوّل**: ص235.

[44] ديورانت، ول وايريل: **قصّة الحضارة**، ترجمة: محمّد بدران، دار الجيل، بيروت، د.ت: 226/13.

[45] ينظر: هوتسما وآخرون: **موجز دائرة المعارف الإسلاميّة**، إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، المراجعة والإشراف العلميّ: حسن حبشي وآخرون، ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المصريّة والعربيّة، مركز الشّارقة للإبداع الفكريّ، ط1، 1998: 941/4.

المفحم، ذات الدّراية بالمخارج السّهلة من الورطات العسيرة، وعلى هذا دخل في ألف ليلة وليلة ولا يزال إلى اليوم الشّخصيّة المحبّبة في القصص الشّعبيّة، حيث يقوم في -الأكثر الأعمّ- مقام نديم الخليفة ورفيقه ومضحك البلاط[46].

إنّ طرافة أبي نواس وذكاءه وبداهته في نظم الشّعر، وعشقه للسّهر والطّرب والغناء، وميوله إلى مجالسة النّدماء والشّعراء، أدخله "حكايات ألف ليلة وليلة"؛ ليكون رفيق الخليفة **هارون الرّشيد في بعض رحلاته** الّتي كان يشرع بها **للمرح واللّهو والضّحك** وفق ما حكت قصص اللّيالي، فكان يسير معه ورفقائه ويحضر مجالسهم ويستمع إلى سِيَر منْ يصادفونهم.

فنراه **رفيقًا عاديًّا** في حكاية عاديّة تخلو من الطّرب والغناء كما في حكاية ممازحة جعفر -بطلب من الخليفة هارون- للعجوز الّذي خرج إلى بغداد يلتمس دواء لعينيه، في **اللّيلة 408** برفقة أبي إسحاق النّديم ونال من العجوز من الشّتيمة ما ناله حتّى استلقى الخليفة على قفاه من الضّحك وخلع على العجوز بثلاثة آلاف درهم[47].

ونراه **درويشًا من الدّراويش الأربعة** كما في حكاية **(علاء الدّين أبي الشّامات)**، برفقة الخليفة هارون الرّشيد ووزيره جعفر وسيّاف النّقمة مسرور في إحدى جولاته ليلًا، وقد قرّروا **تقمّص شخصيّة دراويش** بعدما حصل للخليفة ضيق صدر ورغبوا في التريّض في **اللّيالي 294-298**[48]، وفي أثناء نزولهم المدينة في **اللّيلة 294** سمعوا صوت غناء من بيت أبي الشّامات، فأرادوا استجلاء حقيقة أمر بيته ونزلوا ضيوفًا عنده، فعرفوا قصّته وكانوا يمكثون اللّيالي بين أكل وطرب ولهو وسرور وحبور بعدما تسمعهم زبيدة زوجة علاء الدّين غناء على العود يرقصّ الحجر الجلمود، وهكذا حتّى الصّباح، وفي كلّ يوم كان الخليفة يضع تحت السّجادة مئة دينار قبل أن يمضوا في سبيلهم مدّة تسع ليال، وكانوا وعدوه بعشرة آلاف دينار وفي كلّ مرّة يعتذرون بعدم تيسّرها معهم، وانكشف أمرهم له بعد عودتهم إليه عندما انقطوا في اللّيلة العاشرة وعادوا بعدها وأخبروه بقصر أيديهم عن الدّراهم، وأخبرهم بانفراج حاله وأنّ والده أرسل إليه ما فرّج عنه، فأخبره جعفر بأنّ غيابهم كان بسبب انشغال الخليفة بإحضار خمسين حملًا ثمن كلّ حمل ألف دينار من الأقمشة من مصر؛ ليقدّمها له مع طشت وإبريق من الّذهب وهديّة وكتاب على لسان شمس الدّين والده، فكان **أبو نواس الدّرويش الّذي رافق الخليفة وأنس بمجلسه وما اعتراه من غناء وإنشاد للشّعر، وهو ممّن يعشق السّهر ولياليالأنس والطّرب ومغامرات التّخفّي للوصول إلى هذه الغايات**.

وفي كتاب أخبار أبي هفّان المهزميّ ما يتّفق مع تلك الحكاية ويؤكّد على **عشقه لرفقة النّدماء والخروج معهم إلى مجالس اللّهو والشّرب**[49]، والارتحال إلى الأماكن الحسنة الطّيّب شرابها، من ذلك: ما حكاه المهزميّ عن "الحسين بن أبي المنذر قال: اجتمعت مرّة أنا وأبو نواس وعدّة من أصحابنا عند عبيد بن أبي المنذر، فشربنا يومنا وبتنا عنده ليلتنا، فقال لنا أبو نواس: هل لكم في أن ندلج إلى الكرخ؛ فإنّ بها حانة لم أرَ مثلها قط في نظافتها وطيبها وحسن شرابها، وأنا أشتهي أن أسكر فيها وأقيم بها أيّامًا فساعدوني، قلنا: امض حيث شئت فإنّا معك، فأدلجنا في نصف اللّيل فوافينا الموضع الّذي وصف لنا على ما شاكل نعته ووافق صفته، فقرّب لنا الشّراب من ساعتنا ثمّ أصبحنا فوصلنا نهارنا شربًا"[50]، **فكيف لو كانت الرّفقة هم الخليفة ووزراؤه؟**

ونراه في إحدى حكايات اللّيالي **تاجرًا من التّجار المرافقين** للخليفة هارون الرّشيد مع وزيره جعفر وأخيه الفضل وأبي إسحق النّديم وأبي دلف ومسرور والصّياد في حكاية **(من نوادر هارون الرّشيد مع الشّاب العمانيّ)**، ففي **اللّيلة 943**[51]، أرق الخليفة أرقًا شديدًا واقترح عليه مسرور الانحدار في بحر الدّجلة إلى محلّ يسمّى قرط الصّراط علّهم يسمعون أن ينظرون ما لم يكونوا سمعوا آو رأوا، فيكون سببًا في زوال أرق الأمير، وفعل الخليفة ذلك وقد ارتدوا ورفقاؤه ثياب التّجّار ونزلوا دجلة بزورق مزركش بالذّهب ووصلوا إلى الموضع المطلوب، ثمّ سمعوا صوت جارية تغنّي على العود فأطربهم شعرها وعذوبة غنائها، فتطفّلوا على صاحب الدّار وكان شابًّا مليح المنظر عذب الكلام فصيح اللّسان، ورحّب بهم وأحسن ضيافتهم، وكانت الدّار سقفها بالذّهب وحيطانها منقوشة بالأزورد، وفيها إيوان به سدلة جميلة وعليها مائة جارية كأنّهن أقمار، ثمّ أمر الجواري بإحضار الطّعام فأقبلت أربع منهنّ مشدودات الأوساط بين أيديهنّ مائدة وعليها من غرائب الألوان ممّا درج وطار وسبّح في البحار من قطا وأفراخ وحمام ومكتوب على حواشي السّفرة من الأشعار ما يناسب المجلس، وبعدما أكلوا سألهم الشّاب عن حاجتهم، فأخبروه بإعجابهم بالصّوت الذّي سمعوه من وراء حائط داره، واشتهوا سماعه من صاحبته، فأقبلت جارية كأنّها البدر في تمامه وأخرجت العود المرصّع بالجوهر والياقوت والذّهب

---

[46] ينظر: هوتسما وآخرون: **موجز دائرة المعارف الإسلاميّة:** 416/2 والعقّاد، عبّاس محمود: **أبو نواس الحسن بن هانئ**، المكتبة العصريّة، بيروت- صيدا، د.ت: 23، 25.

[47] ينظر: **ألف ليلة وليلة:** 287/2 .

[48] ينظر: **السّابق:** 158/2-162 .

[49] ينظر على سبيل التّمثيل: المِهْزَميّ: **أخبار أبي نواس:** ص83-85، 86، 88-91.

[50] ينظر: المِهْزَميّ: **أخبار أبي نواس:** ص36-37.

[51] ينظر: **ألف ليلة وليلة:** 208/4- 219.

وشدّت أوتاره وصارت تنشد الشّعر وتغنّي غناء يدلّ على أنّها عاشقة مفارقة، فطرب الرّشيد من غنائها، وكان ينظر إلى الشّاب ويتأمّل محاسنه وظرف شمائله ورأى في وجهه اصفرارًا أثار فضول الخليفة في معرفة سببه، فلمّا حدّثه الشّاب بخسارة في تجارته وكيف أنفق ماله على الجواري حتّى تملّكت إحداهنّ قلبه واستحوذت على فكره، فأنفق كلّ ما يملك على إقامته معها، وكان من عادة التّجار إذا كان عندهم تاجر وافتقر يضيّفونه ثلاثة أيّام وكان قد أقام عندهم سنة كاملة يأكل ويشرب ويسهر، وكان والدها المسؤول عن تقاضي أجرة الجواري؛ فصنعت حيلة بأن تعطيه كلّ يوم خمسمئة دينار وهو يعطيها لوالدها وبقي على هذه الحال حتّى انكشف أمره فطرده والدها، وبعدما توجّه إلى البصرة ودخل السّوق عمل مع صديق له ولوالده وأقام عنده سنة كاملة يبيع ويشتري ويتاجر حتّى منّ الله عليه برزق وفير وكان من جملة ما اشترى قرص التّعويذ ولا يعرف فائدته، حتّى جاءه رجل وأراد شراء قرص التّعويذ وزاود عليه حتّى بلغ ثلاثين ألف دينار وهو يبلغ مئة ألف؛ ففيه شفاء من داء وُصف لعلاج ابنة ملك الهند ومنذ ذلك اليوم وهذا الاصفرار في وجهه، وقد برئت ابنة الملك حين وضع عليها قرص التّعويذ، ففرح الملك وأغدق على الرّجل الّذي اشتراها بمال كثير، وفي يوم تعرّضت ابنة الملك لعارض بسبب انقطاع عقد التعويذ وسقوطه في البحر، وحاول مساعدتها وفشل في الأمر فاصفّر وجهه ثانية، ثمّ عاد إلى بغداد ومعه ماله كلّه علّه يرى من أحبّها، فوصل دار أبيها وكان شباكه قد انهدم وعلم بأنّ ابنته مريضة مرضًا شديدًا بسبب مفارقتها شابًا كانت أحبّته وأنّ والدها يبحث عنه، وهنا اجتمع مع معشوقته بعد شتات أمرهما وتزوّجها، وانصرف الخليفة بعدما سمع قصّة الفتى العمانيّ، ثمّ أمر بإحضاره بعدما لم يسمع ويرَ أغرب من حكاية الشّاب العمانيّ؛ فأحضره وأغدق عليه بمال وفير عوضًا عن قرص التّعويذ، فبكى من شدّة الفرح حتّى عاد الدّم إلى وجهه فصار كالبدر ليلة تمامه.

وهنا شهد أبو نواس قصّة عشق، وجلس مع الخليفة مجلسًا لم يخل من منادمة وأنس وطرب وشعر، فسمع ما لم يسمع ورأى ما لم يرَ، ولولا حبّه الجمّ للطّرب واللّهو ما كان من رفقاء الخليفة في جولاته.

وهي حكاية تدعمها حكاية ذكرها أبو هفّان المهزميّ في أخبار أبي نوّاس، فقد أعجب يومًا ما بثلاثة غلمان حسان الوجوه، أصحاب ظرف وأدب ومروءة وأحوال جميلة، ولا يكاد يكون أحد بمصر يتقدّمهم صباحة وملاحة وكمالًا، ومن شدّة إعجابه بهم ترّقب خروجهم إلى السّوق –بعدما احتال في التّخلص إليهم بكلّ حيلة وأعياه ذلك- ليتمكّن منهم، **فتنكّر - كما كان يفعل مع الخليفة- بزيّ حمّال،** فلبس جبّة صوف وحلق رأسه وشيئًا من لحيته، وأخذ كرزنًا له وترصّدهم في السّوق، وحمل لهم، ولمّا صار إلى مستقرّهم، وأفرغ بضاعتهم ونظّف مجلسهم ورتّبه، وطبخ لهم، ونضّد رياحينهم، ثمّ أخذ يسقيهم ويغنّي وينشد، فأعجبوا به لما رأوا من تقدّمه في كلّ شيء، وطلبوا منه الإقامة عندهم ليلتها، وهو بذلك حقّق مراده الّذي صار حمّالًا لأجله، وأراد أن يستغويهم ويلبس عليهم الحال لئلّا يفطنوا به في مقامه عندهم، فقال: أنا عبدكم وخادمكم، وقد ترون ما بي من العري وسوء الحال، وإن كسوتموني خلقًا من أطماركم استوجبتم من الله عزّ وجل الثّواب، ومني الشّكر والدّعاء وواريتم منّي ما ترون، فتمّت حيلته عليهم، وأكرموا مثواه وأحسنوا إليه، فقعد معهم، ولمّا تغدّوا صبّ على أيديهم الماء، وسقاهم الخمر قبل ذلك على الغمر ثلاثة ثلاثة، وتمثّل لهم بقوله [الهزج]:

ثلاثةٌ على الغَمَر تترك الوجه كالقَمَر

ثمّ **قام فأسقاهم حتّى سكروا وخرّوا نيامًا لا يعقلون سكرًا، واستعدّ للّقاء المرتقب، فلمّا علم أنّه قد أمكنته الفرصة قام إليهم وقضى وطره،** فلما خسر وأعيا ولم يبقَ فيه حركة، تساكر ونام كهيئتهم على وجهه كفعله بهم، فلما استفاقوا ورأوا حالهم فظّنوا الحّمال منْ فعلها بهم، فنظروا إليه فإذا حاله كحالتهم، محلول السّروال مبلول الإست، وعندما أنبهوه استنشاط وأخذ ينكر فعلهم، لكنّه سكن لمّا رأى حالهم كحاله ومضت عليهم حيلته، واتّفقوا على كتمان الأمر؛ كي لا يفتضح أمرهم ويصل إلى أبي نواس؛ فيكتب شعرًا يهجوهم به، فاغتسلوا وتغدّوا ووضعوا الشّراب، فلمّا دارت الرّاح في رؤوسهم خرج أبو نواس ولبس ثيابًا سريّة من خلع الخصيب وتطيّب، ثمّ رجع إليهم، وقال: **أنا الحمّال الّذي صيّرتكم البارحة عرائس،** قالوا: أنت -والله- أبو نواس؟ قال: أنا –والله- أبو نواس فكيف رأيتم، فصفّقَ كلّ واحد يده على جبهته وجعل ينكت الأرض استحياء وتخاجلا، فقال لهم: **قد وقع الأمر الآن موقعه وأنا أشرب؛ فإنْ ساعدتموني وتممتم يومكم كان ذلك أوفق لكم؛ فشربوا على كره منهم وحياء شديد،** فلمّا أمسى وانصرف أنشد[المنسرح]:

وفِتْيةٍ كالدُّمى قد اجتمعوا مثل الدّنانير حين تُنْتَقَدُ

قد ساقني الحينُ نحوهم فإذا هُمُ يقولون إنْ دنا الأحَدُ

فباكِروا الرّاح واقطعوه بها فصرتُ للموضع الّذي عَمَدوا

عليّ لي كَرْزَنٍ ومِشْملة وميهة حبالها مَسَدُ

عَمْدًا فبكّرتُ وارتَصدتهمُ حتّى أتوا غَدْوة وما انفردوا

قمتُ إليهم فقلت أحملُها فإنّ عندي لحملها القِدَدُ
حبلٌ وثيقٌ وميهةٌ وأنا بحملها عالم ومرتشدُ
قالوا فخُذها فأنت أنت لها سوف نكافيك بالّذي نجدُ
فَظَلْتُ أعدوا كأنّني جمل ينوء للموضع الّذي قصدوا
فصرتُ رشاشهم وكانسهم وصرت طبّاخهم وبي رمدُ
إذا الأباريق والزّجاج بها نظرت فيها المغرد الصّرَدُ
فثرتُ نحو الزّجاج أغسلُه حتّى تلالا كأنّه البَرَدُ
فأعجب المُرْدَ خفّتي لهُمُ وليس في خفّتي لهم رشدُ
قالوا لي اقعدْ وهات صبّ لنا وبادر اللّيل قبل نفتقدُ
فَلَقْت إذ ذاك هامة وُضعت على ضئيل كأنّه وَتَدُ
فمرّ يهوي كأنّه رجل تسيل منه الدّماء مفتصد
ما زلت أسقيهمُ مشعشعة يحذر من وقع كأسها الجسدُ
حتّى رأيت الرّؤوس مائلة ولم يكن في رقابها أودُ
واعتقلت ألسن وأسوقة فممسك رأسه ومعتمدُ
قمتُ وبي رعدة وكلّ منْ دبّ فهو مرتعدُ
يا ليلة بت أجني ثمر اللـ ذّات معنا النّواعم الخردُ
من ذا إلى ذا وقد أمرت بأن أعفج هذا وكلّ منْ أجدُ
كأنّهم أنجم لبهجتهم أو المصابيح حين تتقدُ
حتّى إذا مللت عفجهُمُ وكلّ أيري فما به جلدُ
حتّى إذا المجلس استوى بهمُ غادرتهم والكؤوس تطّردُ
صرت إلى منزلي فأبت وقد زيّنت نفسي وحلّني العددُ
على قوهيّة وأرديّة من نسج مصر وكلّها جددُ
فقيل من أنت قلت صاحبكم لا عقل يرجى لكم ولا قودُ

أنا الّذي ... بأجمعكم قالوا نواس فقلت بل لبدُ

ثمّ تغنّيت وامقًا فرحًا يا ليت سلمى وفت بما تعدُ[52]

وعلى الرّغم ممّا اشتملت عليه القصّة من فحش وأفعال لا تنبئ إلّا عن شذوذ، غير أنّ فيها طرافة **وبراعة في انتهاز الفرص لمجالسة النّدماء والاحتيال في الوصول إلى السّرور**، وفيها أيضًا تعزيز لقصص هيامه بالغلمان الحِسان وتفضيلهم على النّساء وميولة إلى نكاحهم والتّلذذ بإتيانهم؛ فهم عروسه المنتظرة ليلة زفافها.

ونراه في حكاية أخرى من حكايات اللّيالي **شاعر الخليفة الحاذق** ونديمه البارع في النّظم؛ بفضل فكره الوقّاد وخياله المتدفّق بأعذب المشاعر الحسيّة؛ كما ظهر في حكاية **(من حكايات أبي نواس مع الرّشيد)**، وفي الحكاية: أنّ الخليفة كان يحبّ السّيدة زبيدة محبّة كبيرة حتّى بنى لها مكانًا للتّنزّه، وأجرى فيه بحيرة من الماء لها سياج من الأشجار، وجعل فيها الماء من كلّ جانب، بحيث لو دخل يغتسل بها أحد لم يُره من كثرة أوراق الشّجر، وفي **اللّيلة (406)**[53] صادف أن دخلت السّيدة زبيدة ذلك المكان يومًا وأتت إلى البحيرة وأعجبها حسنها ورونقها، وكان يومًا شديد الحرّ؛ فنزعت ثيابها ونزلت في البحيرة وجعلت تملأ الماء بإبريق من لجين وتصبّ الماء على بدنها، وعلم الخليفة بنزولها البحيرة، فنزل من قصره يتجسّس عليها من خلف أوراق الشّجر، ولمّا عرفت أنّه رآها استحسّت منه ووضعت يديها على فرجها، ففاض من يديها لفرط كبره وغلظه فولّى من ساعته، وهو يتعجّب من ذلك وينشد:

نَظَرتْ عيني لِحَيْنِي وزكا وَجْدي لِبَيْنِي

ولم يدرِ ما يقول بعد ذلك، فأرسل لإحضار أبي نواس ولمّا حضر بين يديه طلب إليه الخليفة أن ينشد شعرًا يكمل به البيت الّذي أنشده فارتجل[مجزوء الرّمل]:

نَظَرتْ عيني لِحَيْنِي وزكا وَجْدي لِبَيْنِي

من غزالٍ قد سيأتي تحت ظلّ السِّدْرَتَيْنِ

سكَبَ الْمَاءَ عليه بأباريق اللّجَينِ

نَظَرَتْنِي سَتَرَتْهُ فاضَ مِنْ بَيْنَ الْيَدَيْنِ

ليتني كنتُ عليه ساعةً أو ساعتين

فتبسّم الخليفة من كلامه وأحسن إليه وانصرف من عنده مسرورًا، **ولا يخلو نظمه من وصف دقيق لقصّة الخليفة مع السّيدّة زبيدة، ليجسّد مفاتن السّيدة زبيدة الجسديّة، ويعبّر عن مشاعر الخليفة ورغبته المكبوتة في تلك اللّحظات وكأنّه كان حاضرًا معهما.**

كانت هذه الحكاية مدخلًا لحكايات أخرى نُسجت على منوالها لم ترد في النّسخة الأصليّة من كتاب ألف ليلة وليلة الّتي وصلت إلينا، وأُعطيت تصنيفًا؛ فصارت وكأنّها حكاية ليلة من ليالي الألفيّة، منها: **أنّ الخليفة هارون أرق**[54]، فقام يتمشّى في جوانب قصره حتّى وصل مقصورة عليها ستر، فإذا بها صبيّة نائمة؛ كأنّها البدر ليلة تمامه، فدنا منها وملأ الكأس من الخمر وشربه على ورد خدّها، ومالت إليها نفسه حتّى قبّل أثرًا كان بوجهها، فاستيقظت وسألته من يكون؟ فأجابها بأنّه ضيف في حيّهم يريد الضّيافة حتّى السّحر، فقدّمت له الشّراب وشربا معًا، وأخذت العود وضربت عليه وأطربت بنغماته، وعندما فرغت من شعرها قالت: أنا مظلومة يا أمير المؤمنين، وعندما سألها عن السّبب والفاعل؟ أجابت: إنّ ولدك اشتراني من مدّة بعشرة آلاف درهم وأراد أن يهبني لك، فأرسلت إليه ابنة عمّك الثّمن المذكور وأمرته أن يحجبني عنك في هذه المقصورة، فقال لها: تَمَنّي عليّ، فقالت: تمنّيت عليك أن تكون ليلة غد عندي، فقال: إنْ شاء الله تعالى، ثمّ تركها ومضى، فلمّا أصبح الصّباح توجه إلى مجلسه وأرسل إلى **أبي نواس** فلم يجده، فأرسل الحاجب يسأل عنه فرآه **مرتهنًا في بعض الخمّارات على ألف درهم أنفقها على بعد المرد**، فسأله الحاجب عن حاله، فقصّ عليه قصّته وما وقع له مع أمرد مليح أنفق عليه الألف درهم، فقال له: أرني إياه، فإن كان يستحق ذلك فأنت معذور، فقال له: اصبر وأنت تراه في

---

[52] ينظر: المِهْزَميّ: **أخبار أبي نواس**: ص60-66.

[53] ينظر: **ألف ليلة وليلة**: 2/284-285 .

[54] كذلك في **طبعة: ألف ليلة وليلة**، مؤسّسة هنداوي، المملكة المتّحدة، 2022: **اللّيلة: 338**، 3/93-98 .

هذه السّاعة، فبينما هما في الحديث وإذا بالأمرد قد أقبل ودخل عليهما وعليه ثوب أبيض ومن تحته ثوب أحمر ومن تحته ثوب أسود، فلمّا شاهده أبو نواس صعد الزّفرات وأنشد[الوافر]:

تبدّى في قَميصٍ مِنْ بَياضٍ بِأَحْداقَ وأَجْفَانٍ مِراضِ

فَقُلْتُ لهُ: عَبَرْتَ وَلَمْ تُسَلِّم وإنّي مِنْكَ بِالتَّسْلِيمِ رَاضِ

تَبَارَكَ مَنْ كَسَا خَدَّيْكَ وَرْدًا ويخْلُقُ مَا يَشاءُ بِلا اعْتِراضِ

فقَالَ: دَعِ الْجِدالَ فَإِنَّ رَبِّي بَدِيعُ الصُّنْعِ مِنْ غَيْرِ انْتِقَاضِ

فَثَوْبِي مِثْلُ وَجْهِي مِثْلُ حَظِّي بَياضٌ فِي بَياضٍ في بَياضِ

فلمّا سمع الأمرد هذا الكلام نزع الثّوب الأبيض من فوق الثّوب الأحمر، ولمّا رآه أبو نواس أكثر التّعجّبات وأنشد:

تَبَدَّى فِي قَمِيصٍ مِنْ شَقِيقٍ عَدُوٌّ لِي يُلَقَّبُ بِالْحَبِيبِ

فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ : أَنْتَ بَدْرُ وقَدْ أَقْبَلْتَ فِي زِيٍّ عَجيبِ

أَحُمْرَةُ وَجْنَتَيْكَ كَسَتْكَ هَذا أَمْ أَنْتَ صَبَغْتَهُ بِدَمِ الْقُلُوبِ

فَقال: الشَّمْسُ أَهْدَتْ لِي قَميصًا قَريبَ الْعَهْدِ مِنْ شَفَقِ الْمَغِيبِ

فَثَوْبي والْمُدَامُ وَلَوْنُ خَدِّي شَقِيقٌ فِي شَقِيقٍ فِي شَقِيقِ

ولمّا فرغ أبو نواس من شعره، خلع الأمرد الثّوب الأحمر وبقي في الثّوب الأسود، فلمّا رآه أبو نواس أكثر إليه الالتفات، وأنشد:

تَبَدَّى فِي قَمِيصٍ مِنْ سَوادِ تَجَلّى في الظّلامِ على الْعِبادِ

فَقُلْتُ لَهُ: عَبَرْتَ وَلَمْ تُسَلِّمْ وأَشْمَتَّ الْحَواسِدَ والْأَعَادي

فَثَوْبُكَ مِثْلُ شَعْرِكَ مِثْلُ حَظِّي سَوادٌ في سَوادٍ فِي سَوادِ

فلمّا رأى ذلك الحاجب علم بحال أبي نواس وغرامه، فرجع إلى الخليفة وأخبره بحاله، فأحضر الخليفة ألف درهم وأمر الحاجب أن يأخذها ويرجع بها إلى أبي نواس ويدفعها عنه ويخلّصه من الرهن، فرجع بها الحاجب إلى أبي نواس وخلّصه وتوجّه به إلى الخليفة، فلما وقف بين يديه قال له الخليفة: أنشدني شعرًا يكون فيه: "يا أمين الله ما هذا الخبر"؟ فأنشد[الرّمل]:

طالَ لَيْلِي بِالْعَوَادِي وَالسَّهَرْ فَانْضَنَى جِسْمِي وَأَكْثَرْتُ الْفِكَرْ

قُمْتُ أَمْشِي فِي مَحَلِّي تَارَةً ثُمَّ طَوْرًا فِي مَقَاصِيرِ الْحَجَرْ

يا لَها مِنْ بَدْرِ تِم زَاهِرٍ تَثْنَنِي كَالْغُصْنِ فِي وَقْتِ الْمَطَر

فَشَرِبْتُ الْخَمْرَ مَقْنُونَا بِهَا ثُمَّ أَقْبَلْتُ وَقَبَّلْتُ الْأَثَرْ

فَاسْتَفَاقَتْ وَهْيَ فِي غَشْيَتِهَا صَفَقَتْ تَصْفِيقَ أَوْرَاقِ الشَّجَرْ

بَعْدُ جاءَتْ وهُيَ لِي قَائِلَةً يا أَمِينَ اللهِ مَا هَذَا الْخَبَرْ

قُلْتُ: ضَيْفٌ طَارِقٌ فِي حَيِّكُمْ يَرْتَجِي الْمَأْوَى إِلَى وَقْتِ السَّحَر

فأجابَتْ بِسُرُورٍ سَيِّدِي أَكْرِمُ الضَّيْفَ بِسَمْعي والْبَصَر

فقال له الخليفة: **قاتلك الله كأنّك كنت حاضرًا معنا**، ثمّ أخذه الخليفة من يده وتوجّه به إلى الجارية، فلمّا رآها أبو نواس وكان عليها بدلة زرقاء وقناع أزرق، أكثر التّعجّبات وأنشد[الكامل]:

قُلْ لِلمَلِيحَةِ في القِنَاعِ الْأَزْرَقِ ناشَدْتُك بِاللهِ أَنْ تَتَرَفَّقِي

إنَّ المُحِبَّ إذَا جَفاهُ حَبِيبُهُ هاجَتْ بِهِ زَفَرَاتُ كُلِّ تَشَوُّقِ

فَبِحَقِّ حُسْنِكَ مَعْ بَيَاضٍ زَانَهُ هَلَّا رَثِيتِ لَقَلْبِ صَبٍّ مُحْرَقِ

حِنِّي عَلَيهِ وساعِدِيهِ على الْهَوَى لا تَقْبَلِي فِيهِ كَلامَ الأَحْمَقِ

ولمّا فرغ أبو نواس من شعره، قدّمت الجارية الشّراب للخليفة، ثمّ أخذت العود بيدها وأطربت بالنّغمات، وأنشدت:

أَتُنْصِفُ غَيْرِي فِي هَواكَ وَتَظْلِمُ وَتُبْعِدُنِي والْغَيْرُ فِيكَ مُنَعَّمُ

ولَو كانَ لِلْعُشَّاق قاضٍ شَكَوْتُكُمْ إلَيهِ عَساهُ بِالحَقِيقَةِ يَحْكُمُ

فإنْ تَمْنَعُونِي أَنْ أَمُرَّ بِبَابِكُمْ فإنّي عَلَيكُمْ مِنْ بَعِيدٍ أُسَلِّمُ

ثمّ إنّ أمير المؤمنين أمر بإكثار الشّراب على أبي نواس حتّى غاب عن رشده، فناوله قدحًا فشرب منه جرعة واستدامه في يده، فأمرها الخليفة أن تأخذ القدح من يده وتخفيه فأخذت القدح من يده وأخفته بين أفخاذها، ثمّ إنّ الخليفة سحب سيفه في يده ووقف على رأسه ووكزه بالسّيف، فاستفاق فوجد السّيف مسلولا في يد الخليفة، فطار السّكر من رأسه فقال له الخليفة: أنشدني شعرًا وأخبرني فيه عن قدحك وإلّا ضربت عنقك، فأنشد[الرّمل]:

قِصَّتِي أَعْظَمُ قِصَّة صارَتِ الظَّبْيَةُ لِصَّة

سَرَقَتْ كَأْسَ مُدَامِي وامْتِصاصِي مِنْهُ مَصَّة

سَتَرَتْهُ فِي مَكَانٍ بِفُؤَادِي مِنْهُ غصَّة

لَا أُسَمِّيهِ وَقَارًا لا لِلخَلِيفَةِ فِيهِ حِصَّة

وقال له أمير المؤمنين: قاتلك الله من أين علمت ذلك؟ ولكن قد قبلنا ما قلت، وأمر له بخلعة وألف دينار وانصرف مسرورًا.

وكذلك الأمر في (حكاية هارون الرّشيد والشّعراء الثّلاثة)[55]، وفيها: أنّ أمير المؤمنين الرّشيد قلق ذات ليلة قلقًا شديدًا، فقام يتمشّى في جوانب قصره، فوجد جارية تتمايل من السّكر، وكان يهوى تلك الجارية ويحبّها محبّة عظيمة؛ فلاعبها وجذبها إليه، فسقط رداؤها وانحَلَّ إزارها، فسألها الوصل، فطلبت: أن يمهلها إلى ليلة غد، لأنّها غير متهيّئة له، فتركها ومضى، ولمّا أقبل النّهار وأشرقت من شمسه الأنوار، أرسل إليها غلامًا يعرفها أنّ أمير المؤمنين حاضر إلى حجرتها، فردّت: كلام اللّيل يمحوه النّهار، فقال الرّشيد لندمائه: أنشدوني شعرًا فيه: "كلام اللّيل يمحوه النّهار"، فتقدّم الرّقاشيّ وأنشد[الوافر]:

أَمَا واللهِ لَوْ تَجِدِينَ وَجْدِي لَوَلّى مُعْرِضًا عَنْكِ الْقَرَارُ

وَقَدْ تَرَكَتْكَ صَبًّا مُسْتَهَامًا فَتَاةٌ لَا تَزُورُ وَلَا تُزَارُ

إذَا وَعَدَتْكَ صَدَّتْ ثُمَّ قَالَتْ كَلَامُ اللّيلِ يَمْحُوهُ النَّهَارُ

[55] ينظر: **ألف ليلة وليلة**، طبعة: مؤسّسة هنداوي: 3/222-223.

وبعد ذلك تقدّم أبو مصعب وأنشد:

مَتى تَصْحُو وَقَلبُكَ مُسْتَطَارُ ولَمْ تَهْجَعْ وَقَد مُنِعَ القَرَارُ
أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ العَيْنَ عَبْرَى وفِي الْأَحْشَاءِ آلَامٌ وَنَارُ
تَبَسَّمَ ضَاحِكًا إذ قَالَ عُجْبًا كَلَامُ اللّيلِ يَمْحُوهُ النَّهَارُ

ثمّ تقدّم أبو نواس وأنشد:

تَمَادَى الْحُبُّ وانْقَطَعَ الْمَزَارُ وَجَاهَرْنَا فَلَمْ يُغْنِ الْجِهَارُ
وَلَيْلَةَ أَقْبَلَتْ فِي القَصْرِ سَكْرَى ولَكِنْ زَيَّنَ السُّكْرَ الْوَقَارُ
وقَدْ سَقَطَ الرِّدَا عَنْ مَنْكِبَيْهَا مِنَ التَّخْمِيشِ وَانْحَلَّ الْإِزَارُ
وهَزَّ الرِّيحُ أَرْدَافًا ثِقَالًا وغُصْنًا فِيهِ رُمَّانٌ صِغَارُ
فَقُلْتُ: عِدِي مُحِبَّكِ وَعْدَ صِدْقٍ فقالَتْ: فِي غَدٍ يَصْفُو الْمَزَارُ
فَجِئتُ وَقُلْتُ: أَيْنَ الوَعْدُ؟ قَالَتْ كَلامُ اللّيْلِ يَمْحُوهُ النَّهَارُ

فأمر الخليفة لكلّ واحد من الشّعراء ببدرة من المال إلّا أبا نواس، فقد أمر بضرب عنقه، واتّهمه بحضوره معهما في القصر ليلًا؟ وعندها أقسم أبو نواس للخليفة أنّه ما نام إلّا في بيته، وأنّ مضمون شعره استدلّ عليه من كلامه، وتلا قوله تعالى: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُم الغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أنهم في كلّ واد يهيمون وأنّهم يقولون مالا يَفْعَلون} [الشّعراء: 224-226]، فعفا عنه وأمر له ببدرتين من المال.

وبناء على ذلك، كان نظم أبي نواس في الوقائع وكأنّه يشهدها سمة غالبة عليه، وهو من حضور بداهته الّتي نلمحها عند أبي هفّان المهزميّ في حكايته مع النّخّاس الّذي مضى مع أبي نواس إلى باب أسماء بنت المهدي، ذلك أنّ الشعراء كانوا يجتمعون ببابها، فمضيا فإذا بجارية قد طلعت من القصر عليها قباء ومنطقة وفي رجليها نعل، مهضومة، كاعب، ناهد، فأعجبته فكان يناغيها ويغازلها ويعبث بها، وينشدها أشعارًا يعرّض بها فيها، ويعلّمها أنّه يحبها، وكان يجاذبها إذا خرجت؛ فلا ينكر عليه ذلك أحد لعبثه بالنّاس جميعًا، ولأنّه لم يكن يعتدّ بالنّساء ولا يعرف بعشقهنّ، فقال يومًا آخر: امض بنا إلى باب أسماء فمضيت معه، فإذا نحن بالجارية قد خرجت عليها قباء وشي منسوج بالذّهب، وعلى رأسها قلنسوة إبريسمي رقيقة منسوجة بالذّهب، وعليها منطقة بزنّار أخضر معرّقة بالذّهب قد غرقت في خصرها فما تكاد تبين إلا معاليقها من انهضامه، وفي رجليها نعل مدبجة الدّروز، وبيدها عود خيزران ملّون، فلما طلعت عليهم، صار النّخّاس وكلّ منْ حضر هناك ينظر إليها وإلى براعتها وجمالها، فالتفت أبو نواس وقال للنّخّاس: مثل هذه فاشتر، فردّ: هذه ما تصلح إلّا للخليفة، ولا تصلح لمن دونه، فلبثوا ساعة عندها وهي تمزح وتمرح وتتثنّى في مشيتها، ثمّ وقفوا في موضع قريب منهم تسمع كلامهم، ونظرت إلى أبي نواس نظرًا دلّ على أنّ في قلبها شيئًا فأنشد بديهًا[الطّويل]:

لقد صُبّحتْ بالخير عَيْنٌ تَصَبّحتْ بوَجْهِكِ يا مكنونُ في كلّ شارِقِ
مقَرْطَقَةٌ ما شانها سَحبُ ذَيْلها ولا نازَعَتْها الرّيحُ فَضْلَ البنائِقِ
تُشارِكُ في الصُّنْع النّساء وسلّمت لهنّ صنوف الحلي غيرّ المناطِقِ
ومَطْمومَةٌ لم تتّصِل بذؤابةٍ ولم تعتقدْ بالتّاجِ فوق المَفارِقِ
كأنّ مَخطّ الصُّدغ في صحن خدّها بقيّة أنقاسٍ بأصْبُع لائِقِ
غَذَتْه بماءِ المِسْك حتّى جرى لها إلى مستقرّ بين أُذْنٍ وعاتِقِ

غلامٌ وإلّا فالغلامُ شبيهُها وريحانُ دنيا لَذّةٌ للمُعانقِ

خَلَابةُ زنديق ولحظةُ قَيْنَةٍ بكلّ الّذي تهوى ومُنْيَةُ عاشِقِ(56)

المبحث الثّاني: تفضيل الغلمان ومواقعتهم

تحكي لنا أخبار أبي نواس قصّة فتى بهيّ الطّلعة، جميل الهيئة، يسحر النّاس لظرفه وحلاوته وكثرة ملحه، وأنّه كان سخيّا في عطائه، لا يحفظ ماله ولا يمسكه، وأنّ أمّه[57] نقلته إلى البصرة وهو ابن ستّ سنين، فأسلمته إلى الكتّاب، ولمّا ترعرع خرج إلى الأهواز، فانقطع إلى والبة بن الحباب الشّاعر، **فعشقه والبة وأعجب** به، وعُني بتأديبه حتّى خرج منه ما خرج، ولمّا مات والبة لزم خلفًا الأحمر وكان خلف أشعر أهل وقته وأعلمهم، فحمل عنه علمًا كثيرًا وأدبًا واسعًا، فخرج واحد زمانه في ذلك[58]، فلما فرغ أبو نواس من إحكام فنون الشّعر تفرّغ للنّوادر والمجون والمُلح، فحفظ منها شيئًا كثيرًا حتّى صار أغزر النّاس، ثمّ أخذ في قول الشّعر، فبرز على أقرانه، وبرع على أهل زمانه، ثمّ اتّصل بالوزراء والأشراف، فجالسهم وعاشرهم، فتعلّم منهم الظّرف، فصار مثلاً في النّاس، وأحبّه الخاصّة والعامّة، **وكان يتهرّب من الخلفاء والملوك بجهده ويلام على ذلك، فيقول: إنّما يصبر على مجالسة هؤلاء الفحول المنقطعون، الّذين لا ينبعثون ولا ينطقون إلّا بأمرهم، ولكأنّي على النّار إذا دخلت عليهم، حتّى أنصرف إلى أخلّائي ومن أشاربهم، فإنّي إذا كنت عندهم لا أملك من أمري شيئًا**[59]، وربّما كان هروبه من الخلفاء من أسباب قلّة حضوره معهم في حكايات اللّيالي.

جالس بعض أصحابه فتعلّم منه شيئًا من الكلام، ومجن في شعره ثمّ توجّه إلى مدينة السّلام وعاشر الملوك، فحطّ منه مجونه ووضعه خبثُ لسانه وكثرة شغبه وعبثه [60].

ولأنّ أبا نواس كان لا يصادق إلّا رجلًا غريبًا شاعرًا، له سخاء وشجاعة، يشرب الخمور ويصفها ويصف مجالسها، فقد انسجم مع والبة الّذي مع الخصال الّتي أرادها[61]، وأثّرت ملازمته لأستاذه والبة في شخصيّته وميوله نحو الغلمان، فقد ذكرت أخبار ترجمة والبة[62] أنّه كان ماجنًا خليعًا ما يبالي ما يقول وما يصنع، حتّى إنّ الخليفة المهدي امتدح شعره وسعة حفظه، وأنّه امتنع عن منادمته بسبب قوله[السّريع]:

قلتُ لساقينا على خَلْوةٍ أدْنِ كذا رأسَكَ مِنْ راسي

وادنُ فضع صدرك لي ساعة إنّي امرؤٌ أنكِحُ جُلّاسي(63)

---

(56) ينظر: المِهْزَميّ: **أخبار أبي نواس**: ص28–29.

(57) ذكر الأصبهانيّ أنّ اسمها جلّنار تزوّجها العبّاس بعد أبيه، ينظر: الأصبهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، تحقيق: علي مهنّا وسمير جابر، دار الفكر للطّباعة والنّشر، لبنان، د.ت: 166/23.

(58) ينظر: المِهْزَميّ: **أخبار أبي نواس**: ص108–109 وابن المعتز، عبد الله بن محمّد: **طبقات الشّعراء**، تحقيق: عبد السّتّار أحمد فرّاج، دار المعارف، القاهرة، ط3، د.ت: ص194، 195.

(59) ينظر: ابن المعتز: **طبقات الشّعراء**: ص201، 202.

(60) ينظر: ابن منظور، محمّد بن مكرّم: **أخبار أبي نواس**، شرحه وضبطه: محمّد عبد الرّسول إبراهيم، عني بنشره: عبّاس الشّربيني، مؤسّسة الاعتماد، مصر، 1924: 9/1.

(61) ينظر: المِهْزَميّ: **أخبار أبي نواس**: ص138.

(62) ينظر: على سبيل التّمثيل: ابن المعتز: **طبقات الشّعراء**: 88/1 والقيرواني، أبو إسحاق الرّقي: **قطب السّرور في أوصاف الأنبذة والخمور**، تحقيق: سارة البربوشي بن يحيى، منشورات الجمل، بغداد–بيروت، ط1، 2010: ص631 والأصبهاني: **الأغاني**: 110/18 والبغداديّ، أبو بكر أحمد بن علي: **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1، 2002: 676/15 .

(63) ينظر: ابن المعتز: **طبقات الشّعراء**: 88/1، 89.

وكان والبة قد استحلى أبي نواس، وأُعجب بظرفه ومضى معه يومًا إلى مجلسه؛ فأكلا وشربا وأراده والبة، ولمّا كشف عنه ورأى حُسن بدنه لم يتمالك أن قبّل استه(64).

إضافة إلى مصاحبته والبة الّذي أحبّه وأحاطه بمزيد من العطف والرّعاية والحنان، وبذل جهده في تثقيفه وإنماء عبقريّته وصقل شاعريّته، فإنّ الظّروف والبيئة الّتي عاش فيها تعدّ من المؤثّرات في نفسيّته تجاه حبّ الغلمان والّتي منها: قذف أمّه له إلى خضم الحياة القاسية، ووجوده في مجتمع ظهر فيه الشّذوذ الجنسيّ وبدأ ينتشر، فبعض معاصريه اتّخذوا من الغلمان مظهرًا من مظاهر اللّهو والعبث، ونظموا فيهم أشعارًا لا تخرج عن التّظرّف والتّنادر، فكان حبّهم للذّكور من مظاهر الحياة الاجتماعيّة المفتعلة الّتي برزت في مختلف الحضارات الّتي يتفنّن بسببها المثقّفون المنعمون بابتكار طرق جديدة للتّلذّذ بعيدًا عن اللّذّة المعهودة مع النّساء(65).

وكان شعر أبي نواس مستندًا لا شكّ فيه على علو كعبه **في الميل إلى معاشرة الغلمان**، لذلك استُدِلّ بشعره في تفضيل الذّكر على الأنثى في **اللّيلة 422 من حكايات اللّيالي(66)، في المناظرة الّتي وقعت بين بعض الفضلاء وامرأة واعظة من أهل بغداد يقال لها سيّدة المشايخ**، وهي امرأة قيل بأنّها كانت تعظ النّاس، ويتردّد إليها جماعة من المتفقّهين وذوي المعارف والآداب، يطارحونها مسائل الفقه ويناظروها في الخلاف، وكان الشّيخ يفضّل الرّجال على النّساء لأمور ذكرها في مناظرته مع الشّيخة منها: القوامة وقبول شهادة رجل في مقابل امرأتين وأنّ نصيب الرّجل في الميراث ضعف نصيب المرأة، فما كان منها غير أن ذكرت للشّيخ بأنّ الخلاف بينهما وسبب المناظرة إنّما في الصّفات المقصودة من حسن العشرة والاستمتاع، وهو لم يأتِ ببرهان على فضل الغلام على الأنثى في ذلك، فردّ عليها: بأنّ الغلام إنّما اختصّ باعتدال القدّ وتوريد الخدّ وملاحة الابتسام وعذوبة الكلام، فالغلمان بهذا الاعتبار أفضل من النّساء، ثمّ استشهد بحديث ادّعى نسبته إلى النّبي ρ، وهو: "لا تدعو النّظر إلى المرد، فإنّ فيهم لمحة من الحور العين"، واحتجّ لدحض حجّة الشّيخة بقول أبي نواس[السّريع]

أقلُّ ما فيه مِن فَضائِلِه أمْنُك من طَمْثِه ومن حَبَلِه

لكنّ الشّيخة بيّنت له أنّ النّساء أفضل وأحسن، ولولا ذلك لما شبّه بهنّ غيرهنّ، فالغلام يشبّه بالجارية وليس العكس، حتّى قيل أنّها تصلح للأمرين معًا، واستشهدت بقول أبي نواس[السّريع]:

ممشوقةُ القصر غلاميّة تصلحُ للّوطيّ والزّاني

وقوله الشّاعر مستندًا في بيته إلى أبي نواس لما عرف عنه بخلاعته ومجونه [الكامل]:

قال الإمام أبو نواس وهو في شرع الخلاعة والمجون يقلّد

يا أمة تهوى العذارى تمتّعوا من لذّة في الخلد ليست توجد

وبناء على ذلك، كان شعر أبي نواس وما فيه من ميول جنسيّ نحو الغلمان من أدلّة الشّيخ في مناظرته مع الواعظة، ومستندًا قويًّا في حجيّة النّزوع إلى تفضيل الرّجال، وهو الطّريق الّذي كان ينبغي –بحسب سيّدة المشايخ -على الشّيخ المُحاجَجة به في مناظرتهما، وهي تفضّل النّساء؛ فكمال اللّذة والنّعيم المقيم لا يكون إلّا بهنّ.

لكنّنا مع النّويهي في أنّ طمث النّساء وحبلهن ليس سببًا رئيسًا ووحيدًا في تفضيله الرّجال عليهنّ، و"إذا اقتصرنا على هذه الأسباب على ظاهرها لم نجدها مقنعة، فليس منْ يضطرّه إلى وصال النّساء في وقت طمثهنّ المحدود، وخوف الحبل احتجاج ضعيف وخصوصًا في مثل عصره، فما كانت القيان المعربدات يصدّهنّ أو يصدّ النّاس عنهنّ خوف الحبل، وهذا احتجاج لا يقنع على أيّ حال ضدّ الزّواج الشّريف الّذي لا يجرّ الحمل فيه عارًا ولا أذى، ولا ضدّ التّسرّي المشروع المُباح، السّبب الحقيقيّ إذن ليس الحيض في حدّ ذاته ولا الحمل في حدّ ذاته، وإنّما يومئ إليه الحيض والحمل معًا: الأمومة، **وهو يفضّل الغلمان لا لنظافتهم ولا لأمنه العار والغرم منهم، بل لعدم اقترانهم بفكرة الأمومة**"(67)، وهو أمر يرجعنا إلى ظروف نشأة أبي نواس الّتي وجّهته تلك الوجهة حتّى نظم ما نظم من أشعار صارت حجّة استأنست بها تلك الشّيخة في مناظرتها.

ويؤيّد ذلك ما ذكره أبو هفّان المهزميّ: بأنّ بعض أقاربه احتالوا عليه حتّى زوّجوه بمليحة بارعة تقربه، فلمّا دخل بها أعرض عنها، **وخرج على غلمان كانوا يتعهّدونه، فدعاهم وألبسهم الأزر المفرجة والخلوقيّة، وخلا بهم يومهم ذلك**، ولمّا أمسى طلّقها، وأنشد[السّريع]:

---

(64) ينظر: ابن منظور: **أخبار أبي نواس**: 9/1.

(65) ينظر: النّويهي، محمّد: **نفسيّة أبي نواس**، مكتبة الخانجي ودار الفكر، القاهرة، ط2، 1970: ص82، 87، 169، 170

(66) ينظر: **ألف ليلة وليلة**: 300/2-302.

(67) النّويهي، محمّد: **نفسيّة أبي نواس**: ص81.

لا أبتغي بالطّمث مَطْمومةً ولا أبيع الظّبيَ بالأرنبِ

لا أدخل الجُحْر يدي طائعًا أخشى من الحيّة والعقربِ(68)

وكذلك ما ذكره أبو هفّان المهزميّ ممّا يعزّز براعته في **استمالة الغلمان الحِسان**: أنّه أعجب بجمال الكوفيّ، وكان (جمال) حسن الوجه، بارع الجمال، جيّد الشّعر، وكان ينزل الكرخ، وقد كان وصف خمسين غلامًا وصنّفهم على طبقاتهم في شعره، وكان-على حداثة سنّه يتشطّر ويطلب الغلمان بماله وشعره، وكان موسرًا ذا ثروة، وكان أبو نواس يستجيد شعره ويستحليه، وإذا بأبي نواس في صفّ الورّاقين بصر بغلام حسن الوجه بارع الجمال؛ فوثب مبادرًا نحوه؛ فتعلّق به القوم وقالوا: مهلًا فإنّ هذا جمال الّذي سمعت به، فقال: قاتله الله فما رأيت جمالًا أظهر منه! وطلب أن يوصل أحد إليه أبيات غزل ارتجلها فيه لحظتها، هي[السّريع]:

يا واصفَ الخمسين لو تَعْدِل لكان منهم اسمُكَ الأوّلُ

لا وَصَفْتَ خمسين ومَيّزْتَهم وأنت أنت الظّبْيَةُ المغْزلُ

جَمالُ دَعْهم عنك ولا تُطْرهم أنتَ وربّي منهم أجملُ

لا يبْرَح اللّوطيّ من شهوةٍ لحسن ردف كالنّقا ينزلُ

وهنا يحظى أبو نواس بشتيمة جمال بعدما قرأ الأبيات قائلًا: ويلي عليه ابن الزّانية الشّارب الخمر- وكان جمال لا يشربها-، والله لا هجوتك، ولكنّني أقتلك بخنجري هذا، وهزّه في يده، وعندما بلغ ذلك أبا نواس ضحك ثمّ كتب إليه[السّريع]:

يا من عدا بالقَتْلِ ظلمًا لقد حالفت ذا الخَنْجَر كَفّيْكا

ما خنجر يقتلني سيّدي أَقْتَلُ من تَقْتير عَيْنَيْكا

يا منْ دعا قلبي إلى حُبّه فقلت لبّيْك وسَعْديكا

هبْ لي ولا تبخلْ أيا سيّدي سُوَيْعة ما بين فَخْذَيْكا

فما لبث جمال حتّى واصل أبي نواس وحادثه ودعاه إلى مجلسه وسكر معه[69].

إنّ شهرة أبي نواس في حبّ معاشرة الغلمان كانت سببًا في الاستدلال بشعره في تلك المناظرة، وكذلك كانت سببًا **في وضع حكايات عنه في بعض نسخ كتاب اللّيالي الّتي وصلت إلينا حكايات تحاكي في صوغها وأسلوب سردها ما حُكي عنه في النّسخ الأصليّة من حكايات الألفيّة**، تصف مجونه مع الغلمان كما في **(حكاية أبي نواس والغلمان الحسان)**[70]، عندما خلا أبو نواس بنفسه يومًا، وهيّأ مجلسًا فاخرًا جمع فيه من أنواع الأطعمة وسائر الألوان كلّ ما تشتهي الشّفة واللّسان، وخرج في طلب محبوب لائق بذلك المجلس، وهو يقول: "يا إلهي وسيّدي ومولاي، أسألك أن تسوق لي من يناسب ذلك المجلس ويصلح للمنادمة معي في هذا اليوم"، فما أتمّ كلامه إلّا وقد رأى ثلاثة من المرد الحسان، كأنّهم من ولدان الجنان، إلّا أنّ ألوانهم مختلفة ومحاسنهم في الإبداع مؤتلفة، وفي تثنّي معاطفهم تطمع الآمال، على حدّ قول من قال[الوافر]:

مررتُ بأمردين فقلتُ إنّي أحبّكما فقال الأمردان

أذو مال؟ فقلتُ وذو سخاء فقال الأمردان الأمر دانٍ

وكان أبو نواس يذهب هذا المذهب، ومع الملاح يلهو ويطرب، فذهب إلى هؤلاء الغلمان وحيّاهم بالسّلام، فقابلوه بأوفى تحيّة وإكرام، ثمّ أرادوا الانصراف إلى بعض الجهات، فحجزهم وأنشد[الوافر]:

---

(68) ينظر: المِهْزَميّ: **أخبار أبي نواس:** ص27.

(69) ينظر: المِهْزَميّ: **أخبار أبي نواس:** ص34-34.

(70) ينظر: **ألف ليلة وليلة**، طبعة: مؤسّسة هنداوي: اللّيلة 381، 3/205-211.

فلا تَسْعَوْا إِلَى غَيْري فَعِنْدي مَعْدَنُ الْخَيْرِ
وعِنْدي قَهْوَةٌ تُجْلى سَباها راهِبُ الدَّيْرِ
وَعِنْدي اللّحْمُ مِنْ ضَأْنٍ وأَصْنافُ مِنَ الطّيْرِ
كُلُوا ذا وَاشْرَبُوا خَمْرًا عَتيقًا مُذْهِبَ الضَّيْرِ

فلما خدع الغلمان بأبياته؛ مالوا إلى مرضاته وأجابوه بالسّمع والطّاعة، وذهبوا معه إلى منزله، فوجدوا جميع ما وصفه في شعره حاضرًا في المجلس، فجلسوا وأكلوا وشربوا وتلذّذوا وطربوا وتحاكموا عنده في أيّهم أحسن بهجة وجمالًا، وأقوم قدًّا واعتدالًا؛ فأشار إلى أحدهم بعد تقبيله مرّتين، ثمّ أنشد[الطّويل]:

بِرُوحيَ أَفْدي خالَهُ فَوْقَ خَدِّهِ ومِنْ أَيْنَ هَذا الْخالُ أَفْديهِ بِالْمالِ
تَبارَكَ مَنْ أَخْلَى مِنَ الشَّعْرِ خَدَّهُ وأَسْكَنَ كُلُّ الْحُسْنِ فِي ذَلِكَ الْخَالِ

ثمّ أشار إلى الثّاني بعد لثم الشّفتين، وأنشد[الوافر]:

وَمَعْشُوقٍ لَهُ فِي الْخَدُّ خَالٌ كمسك فوق كافور نقيّ
تَعَجَّبَ ناظِرِي لَمَّا رَآهُ فَقالَ الخالُ صَلِّ عَلَى النَّبِيّ

ثمّ أشار إلى الثّالث بعد تقبيله عشر مرّات، وأنشد[الوافر]:

أَذَابَ التَّبْرَ في كَأْسِ اللّجَيْنِ فَتى بِالرّاحِ مَخْضُوبُ الْيَدَيْنِ
وَطافَ مَعَ السُّقَاةِ بِكَأْسِ راحٍ وطافَتْ مُقْلَتاهُ بِآخَرَيْنِ
مَليحٌ مِنْ بَنِي الْأَتْراكِ ظَبْيٌ يُجاذِبُ خَصْرُهُ جَبَلَيْ حُنَيْنِ
لَئِنْ سَكَنَتْ إِلَى الزَّوْرَاءِ نَفْسِي فَإِنَّ الْقَلْبَ بَيْنَ مُحَرَّكَيْنِ
هُوَ يَقْتادُهُ لِدِيارِ بَكْرٍ وآخَرُ نَحْوَ أَرْضِ الْجامِعَيْنِ

وكان كلّ واحد من الغلمان قد شرب قدحين، فلمّا وصل الدّور إلى أبي نواس أخذ القدح وأنشد[البسيط]:

لا تَشْرَبِ الرّاحَ إِلّا مِنْ يَدَيْ رَشَإٍ تَحْكيهِ في رِقَّةِ الْمَعْنى وَيَحْكيها
إِنَّ الْمُدامَةَ لا يَلْتَذُّ شارِبُها حتّى يَكونَ نَقِيَّ الْخَدِّ ساقيها

ثمّ شرب كأسه ودار الدّور، فلمّا وصل الدّور إلى أبي نواس ثانيًا، غلبت عليه المسرّات فأنشد[البسيط]:

اجْعَلْ نَديمَكَ أَقْداحًا تُواصِلُها مِنَ الْمُدامِ وَأَتْبِعْها بِأَقْداحِ
مِنْ كَف أَلْمى بَديعِ الْحُسْنِ ريقَتُهُ بَعْدَ الْهُجوعِ كَمِسْكٍ أَوْ كَتُفاحِ
لا تَشْرَبِ الرّاحَ إِلّا مِنْ يَدَيْ رَشَإٍ تَقْبِيلُ وَجْنَتِهِ أَشْهى مِنَ الرّاحِ

فلما غلب السّكر على أبي نواس ولم يعرف له يدًا من رأس، **مال على الغلمان بالبوس والعناق والتفاف السّاق على السّاق، ولم يبال بإثم ولا عار**، وأنشد[السّريع]:

ما استكمل اللّذاتِ إلّا فتًى يشربُ والمُرْدُ نَداماهُ

هذا يُغنيه وهذا إذا أنعَشَهُ بالكأسِ حيّاهُ

لا وَكُلّما احْتاجَ إلى قبْلَةٍ مِنْ واحدٍ أرْشَفَهُ فاهُ

شَفْيًا لَهُمْ قدْ طابَ يومي بهم وا عَجَبا ما كانَ أحْلاهُ

[redacted]

فبينما هم كذلك وإذا بطارق يطرق الباب، فأذنوا له في الدّخول، فلما دخل وجدوه أمير المؤمنين هارون الرشيد، فقام له الجميع وقبّلوا الأرض بين يديه، واستفاق أبو نواس من سكره لهيبة الخليفة، فقال له أمير المؤمنين: يا أبا نواس فقال: لبيك يا أمير المؤمنين أَيَّدَكَ الله. قال له: ما هذا الحال؟ قال: يا أمير المؤمنين، لا شكّ أنّ الحال يُغني عن السّؤال، فقال له الخليفة: يا أبا نواس، قد استخرت الله تعالى ووليّتك قاضي المعرصين، فردّ أبو نواس: وهل تحبّ لي هذه الولاية يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فردّ: يا أمير المؤمنين هل لك من دعوة تدعيها عندي؟ فاغتاظ منه أمير المؤمنين، ثمّ تركهم وهو ممزوج بالغضب، ولمّا جنَّ اللّيل بات أمير المؤمنين في غيظ شديد من أبي نواس، وبات أبو نواس في أسرّ اللّيالي بما هو فيه من البسط والانشراح، فلمّا أصبح الصّباح وأضاء كوكبه ولاح فضّ أبو نواس المجلس وصرف الغلمان، ولبس لبس الموكب وخرج من بيته متوجّهًا إلى أمير المؤمنين، وكان من عادة أمير المؤمنين أنّه إذا فضّ الدّيوان يدخل قاعة الجلوس ثمّ يحضر فيها الشّعراء والنّدماء وأرباب الآلات، ويجلس كلّ منهم في مرتبته لا يتعدّاها، فاتّفق أن كان في ذلك اليوم نزل من الدّيوان إلى القاعة وأحضر ندماءه وأجلسهم في مراتبهم، فلمّا جاء أبو نواس وأراد أن يجلس في موضعه، دعا أمير المؤمنين بمسرور السّياف وأمره أن ينزع عن أبي نواس ثيابه، ويشدّ على ظهره بردعة حمار، ويجعل في رأسه مقودًا وفي دبره طفرًا، ويدور به على مقاصير الجواري وعلى منازل الحريم وسائر المحلّات، ليسخروا به، وبعد ذلك يقطع رأسه ويأتيه بها، وأخذ يفعل مسرور ما أمره به الخليفة ودار به على المقاصير، وكان عددها بعدد أيّام السّنة، وكان أبو نواس مُضحِكًا وكلُّ مَن رآه يعطيه مالًا، فما رجع إلّا وجبّه ملآن مالًا، فبينما هو على هذه الحالة وإذا بجعفر البرمكيّ مقبل؛ فدخل على الخليفة وكان غائبًا في أمر مهمّ لأمير المؤمنين، فرأى أبا نواس في هذه الحالة فعرفه، فقال له: يا أبا نواس فقال له: لبيك يا مولانا، فسأله: أي ذنب فعلت حتّى حصلت لك هذه العقوبة؟ فردّ أبو نواس: ما فعلت ذنبًا إلّا أنّي هاديت مولانا الخليفة بمحاسن أشعاري، فهاداني بمحاسن ملبوسه، فلمّا سمع أمير المؤمنين ذلك، ضحك ضحكًا ناشئًا عن قلب مملوء بالغيظ، وعفا عنه وأمر له ببدرة من المال.

وهي حكاية برغم ما فيها من أسلوب طريف ماتع ومطابق لحكايات اللّيالي، غير أنّها ليست من حكايات النّسخة الأصليّة للّيالي، ما يؤكّد قول العقّاد بأنّها "حكاية من نوادر (الأبوكريفيّة)": وهي رسالة إنجليزيّة طُبعت في إحدى الجزر الهنديّة وأهداها مؤلّفها إلى ذكرى الأستاذ (برتون) مترجم (ألف ليلة وليلة)، وقسّمها إلى : **أخبار (أبو كريفيّة)**: تشبيهًا لها بالأخبار الّتي يدسّها بعض الرّواة على الكتب الدّينيّة، و**أخبار خرافيّة**: من قبيل الأساطير والغرائب المرويّة عن عجائب المخلوقات[71]، وجدت طريقها إلى بعض النّسخ العربيّة، وبذلك لا يمكن التّسليم بصحّتها.

خاتمة

بحثت الدّراسة في شخصيّة أبي نواس كما ظهرت في حكايات ألف ليلة وليلة، تلك الحكايات الّتي تغلب فيها الخرافات على الحقائق، وتبدّت شخصيّة أبي نواس وكأنّها في مسيرتها واحدة، من خلال بداهتها ونظمها فيما لم يشهده من وقائع وكأنّه شهده بحرفيّته، بفضل ذكائه وحسّه المتماهي في حضارة العرب والغرب، وتوصّلت الدّراسة إلى **النّتائج الآتية**:

- شخصيّة أبي نواس من الشّخصيّات الواقعيّة في حكايات ألف ليلة وليلة، إذ نجد حضوره في عدد محدود منها لتجسّد فلسفته في الحياة وتعكس رغباته في مجالس الطّرب وميوله إلى الفحش في النّظم، وتعكس علو كعب الفحش والمجون لا سيّما في تفضيل الذّكور على النّساء.

[71] ينظر: العقّاد: **أبو نواس الحسن بن هانئ:** ص17-18.

- كانت شخصيّة أبي نواس شخصيّة ذكيّة مرهفة الإحساس، ولكثرة تردّده على مجالس اللّهو وغزله الماجن وغنائه بالخمرة وفحشه في التّصوير، فقد وُضِعت فيه حكايات تحاكي حكايات اللّيالي في بعض النّسخ على حساب النّسخة الأصليّة تعكس مزيدًا من انحرافه ومجونه وتماديه في الشّذوذ.
- ظهر أبو نواس مع الرّشيد في ثلاث من حكايات اللّيالي، وتقاطعت مع حكايات أبي هفّان، بوصفه رفيق الخليفة في رحلاته ونديمه في مجالسه والشّاعر الحاذق الّذي يستطيع كبح غضب الخليفة هارون الرّشيد وإبداله ضحكًا.
- كان أبو نواس يعشق السّهر والطّرب والغناء ومجالس الأنس، ما تسبّب في دخوله حكايات ألف ليلة وليلة، بوصفه درويشًا تارة وتاجرًا تارة أخرى في حكايات اللّيالي وهو ما فعله في خبر من أخباره الّتي جمعها أبو هفّان المهزميّ والّذي تقمّص فيها شخصيّة الحمّال للوصول إلى أهدافه من لهو وعبث وطرب.
- يبدو أنّ الظّروف والبيئة الّتي عاش فيها أبو نواس ومصاحبته لوالبة أثّرت في نفسيّته وميوله نحو معاشرة الغلمان والتّغزّل بهم، فقد كان والبة أستاذه شاعرًا ماجنًا خليعًا.

قائمة المصادر والمراجع

الأصبهاني، أ. ف. (د.ت.). الأغاني (ع. مهنا & س. جابر، محققان). دار الفكر للطباعة والنشر.
البغدادي، أ. ب. أ. بن علي. (2002). تاريخ بغداد (ب. ع. معروف، محقق). دار الغرب الإسلامي.
ديورانت، و.، وديورانت، أ. (د.ت.). قصة الحضارة (م. بدران، مترجم). دار الجيل.
ضيف، ش. (د.ت.). العصر العباسي الأول (ط 8). دار المعارف.
ابن عبد ربه، أ. بن م. (1983). العقد الفريد (ع. م. الترحيني، محقق) (ط 1). دار الكتب العلمية.
العقاد، ع. م. (د.ت.). أبو نواس الحسن بن هانئ. المكتبة العصرية.
القيرواني، أ. إ. الرقي. (2010). قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور (س. البربوشي بن يحيى، محققة) (ط 1). منشورات الجمل.
ابن منظور، م. بن م. (1924). أخبار أبي نواس (م. ع. الرسول إبراهيم، شارح؛ ع. الشربيني، ناشر). مؤسسة الاعتماد.
ابن المعتز، ع. بن م. (د.ت.). طبقات الشعراء (ع. السطار أ. فراج، محقق) (ط 3). دار المعارف.
المهزمي، أ. ه. ع. بن أ. بن حرب. (د.ت.). أخبار أبي نواس (ع. السطار أ. فراج، محقق). مكتبة مصر.
مؤلف مجهول. (د.ت.). ألف ليلة وليلة. مكتبة محمد علي صبيح وأولاده.
مؤلف مجهول. (2022). ألف ليلة وليلة. مؤسسة هنداوي.
النويهي، م. (1970). نفسية أبي نواس (ط 2). مكتبة الخانجي ودار الفكر.
هوتسما، م. ت.، وآخرون. (1998). موجز دائرة المعارف الإسلامية (إ. ز. خورشيد وآخرون، إعداد وتحرير؛ ح. حبشي وآخرون، مراجعة وإشراف علمي؛ نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، مترجمون) (ط 1). مركز الشارقة للإبداع الفكري.